الفصل الرابع
واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة المدرسة الابتدائية الطفولة الوسطى والمتأخرة

يتضمن الفصل:

التربية الجسمية.

التربية الاجتماعية.

التربية الإيمانية.

التربية العقلية.

يميل بعض الباحثين إلى تقسيم مرحلة المدرسة الابتدائية، والتي تمتد من سن ست سنوات حتى اثنتي عشرة سنة، إلى مرحلتين، المرحلة الأولى ويسمونها بالطفولة الوسطى[1]، وتمتد من 6 ـ 9 سنوات، والمرحلة الثانية ويسمونها بالطفولة المتأخرة أو الطفل على مشارف المراهقة، وتمتد من 9 ـ 12 سنة. والبعض يتجه لدراسة هذه المرحلة (من 6 ـ 12 سنة) كمرحلة واحدة ويسمونها مرحلة المدرسة الابتدائية، وهذا ما اتبعناه في دراستنا هذه: حيث تتسم طبيعة البحث بالتعرف على المواطن التي يتوجب على الآباء معرفتها عن أبنائهم، حتى يستحسنوا تربيتهم ورعايتهم، وهذا يتطلب دراسة هذه المرحلة بشكل كلي متكامل. هذا بالإضافة إلى أن «النظريات المتوفرة عن هذه المرحلة من النمو لم تبلغ من الشمول والعمق ما بلغته تلك الفترة التي قبلها، وفضلاً عن ذلك فإن البحوث التجريبية التي أجريت على الأطفال في هذه السن أقل كثيراً مما أجري على من يصغرهم وربما كان ذلك بسبب مقاومة الأطفال من سن الثامنة للدراسة وتخلصهم منها»[2].

وعندما يلتحق الطفل بالمدرسة الابتدائية في بداية هذه المرحلة، تتسع البيئة التي يتعامل معها الطفل، لذا فإن انتقاله سوف يصاحبه تغييرات أساسية وهامة في علاقته ببيئته. فقد كانت البيئة من قبل أكثر إشباعاً لحاجاته، وأوفر رفقاً بميوله واستعداداته، ولم تكن تحتوي على عناصر التحدي والإثارة التي تزخر بها هذه البيئة الجديدة. لقد كان الطفل ينمو في بيئته السابقة، سواء أكانت المنزل أو دار الحضانة، وقد ترك لشأنه دون تدخل كبير من القائمين على شؤونه، وكان يعوّل في نموه على مبدأ النضج أكثر مما

(1) تسمى المرحلة من سن سنتين إلى خمس سنوات مرحلة الطفولة المبكرة.

(2) ايفان جونسر: **رسائل الآباء إلى الأولاد**. ترجمة لطفي الخولي ومحمد أمين (دار التضامن، بغداد، 1962) ص 112.

يعوّل على مبدأ التعلم. أما البيئة الجديدة، وهي المدرسة، فهي بيئة أكثر تعقيداً، وأكثر فاعلية ونشاطاً، ولذلك كانت عملية النقل من البيئة الثانية، عملية لا تخلو من عنصر المفاجأة بالنسبة للطفل. وقد تبين أن الأطفال الذين يأتون من دور الحضانة أكثر استعداداً لهذه التغييرات من الأطفال الذين يأتون من البيئة المنزلية مباشرة.

والطفل عندما يأتي إلى المدرسة الابتدائية، يحمل انطباعات بيئته الأولى، والخبرات الانفعالية والإدراكية التي مر بها، والاتجاهات والميول التي اكتسبها، والقيم والمعايير الاجتماعية التي آمن بها، أي إنه يأتي إلى المدرسة وقد شكل على نحو خاص. وهذا التشكل في شخصيات تلاميذ المدرسة الابتدائية يؤدي إلى بعض الصعوبات التي تواجه المدرسة في رعاية نمو تلاميذها، فالتلاميذ قد أتوا إليها، وقد علقت بنفوسهم الكثير من آثار سوء الرعاية التي تعرضوا لها بسبب جهل الآباء والأمهات وتبلورت هذه الآثار في صورة مشكلات وانحرافات في النمو[1].

وتتطلب هذه المرحلة من الطفل أنواعاً جديدة من التوافق مع المدرسة وما تحتويه من زملاء، ومع البيئة المحلية، ومع طبقته الاجتماعية[2] وتتوقف استجابات الطفل لهذه المواقف والعلاقات الجديدة على نوع الشخصية التي نمّاها نتيجة لتعلمه في بيئته الأولى (المنزل أو الحضانة). وقد أبرز العالم الفرنسي ميرفي أن الخبرات الجديدة هذه تعني أشياء متباينة جداً بالنسبة للأنواع المختلفة من الأطفال[3].

وعلى الرغم من هذا الدور المتعاظم للمدرسة، فإن للأسرة دورها الهام أيضاً في هذه المرحلة، إلا أنه بالمقارنة بدورها في المرحلة السابقة يتضح أن دورها في مرحلة الابتدائية قد تراجع بصورة واضحة، وأفسح المجال لكي تأخذ المدرسة دورها كذلك في عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي.

---

(1) عزيز حنا داود، زكريا اثناسيوس: **دراسات في علم النفس** (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970) ص 107.

(2) محمد سعيد فياضي: **الآداب الاجتماعية في الإسلام** (دار المعارف الإسكندرية، 1978) ص 63.

(3) مجلة الدراسات التربوية، تصدر عن كلية التربية جامعة الفاتح ـ ليبيا، المجلد الثاني، 1983، ص43، بحث منشور لـ عمر التومي الشيباني بعنوان (الاتجاهات الحديثة في مفهوم التربية).

وهـذا الفـصل يعـالج جوانـب التربيـة: الجـسمية، والاجتماعيـة، والإيمانيـة والعقلية. وواجبات الآباء إزاءها. من خلال عرض وجهات نظـر وخـبرات علـماء النفس والتربية، ثم من خلال عرض ما جاء في التربية الإسلامية.

أولاً ـ التربية الجسمية:

بالرجوع إلى ما كتب في مراجـع علـم نفـس النمـو عـن أهـم مظـاهر النمـو الجسمي والفسيولوجي والحركي لطفل المدرسة الابتدائية. يتضح ما يأتي:

1 ـ تتميز مرحلة الطفولة الوسطى بالبطء في سرعـة النمـو الجـسمي، بالمقارنـة لمـا حدث في المرحلة السابقة، وما سيحدث في المرحلة اللاحقة.

2 ـ في نهاية هذه المرحلة تتعـدل النـسب الجـسمية وتـصبح قريبـة الـشبه بهـا عنـد الراشد.

3 ـ في بداية المرحلة تتساقط الأسنان اللبنية، ثـم في نهايـة المرحلـة تظهـر الأسـنان الدائمة.

4 ـ بالنسبة للفروق بين الجنسين في النواحي الجسمية، يكون البنون أطول قليلاً من البنات، وفي منتـصف المرحلـة يتـساوى الجنـسان، وفي نهايتهـا تبـدو الفـروق واضحة، فالبنون يكون نصيبهم من النـسيج العـضلي أكثـر مـن البنـات، بينـما البنات تزداد في نصيبها من الدهن الجسمي، كما أن البنات تكـون أقـوى قلـيلاً من البنين، وأكثر وزناً وطولاً. وتبدأ ظهور الخصائص الجنـسية الثانويـة لـدى البنات قبل البنين في نهاية هذه المرحلة.

5 ـ تتميز بداية هذه المرحلة بالصحة العامـة، ولكـن مـع دخـول الطفـل المدرسـة يصبح الأطفال أكثر عرضة للأمراض المعدية مثل الحصبة والنكاف والجدري. وفي نهاية المرحلة يصبح الطفل أكثر مقاومة للمرض، ويتحمل التعب ويكـون أكثر مثابرة.

6 ـ يزداد نشاط الأطفـال للحركـة واللعـب كـالجري والقفـز والتـسلق وركـوب الدراجات ذات العجلتين، كما يبدأ حبهم للمباريات المنظمـة. وتميـل الفتيـات للحركة الأكثر دقة والتي تتطلب اتزاناً ومهارة كنط الحبل والرقص التوقيعي.

7 ـ يزداد التوافق بين العين واليد في الأعمال اليدوية، لذا يميل الأطفال إلى أعمال الصلصال وعمل النماذج الخشبية والقص والمزق، وتميل البنات لأعمال الإبرة، ويقل اهتمام البنات تدريجياً باللعب بالعرائس حيث يتلاشى تقريباً هذا الميل في سن الحادية عشرة. وفي نهاية هذه المرحلة تنمو العضلات الدقيقة ويصبح الطفل لديه القدرة على استخدام أصابعه بشكل أكثر دقة، فيتجه لاستخدام أدوات النجارة كالشاكوش ولذا يميل الطفل للأعمال الخشبية، وإقامة المباني بالمكعبات، وعمل التريكو والتدبير المنزلي وأعمال المطبخ بصفة عامة.

8 ـ للبيئة الثقافية والجغرافية التي يعيش فيها الطفل تأثير على نشاطه الحركي، فرغم أن الأطفال في جميع أنحاء العالم متشابهون بصفة عامة في نشاطهم الحركي (الجري، والقفز، والتسلق، واللعب). إلا أن الاختلافات الثقافية والجغرافية تبرز بعض الاختلافات في هذا النشاط، فالتزحلق على الجليد في شمال أوروبا لا يتيسر لأطفال وسط إفريقيا، وهكذا.

9 ـ ويؤثر المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة في نوع النشاط الحركي للأطفال، فاللعبة التي يهتم بها طفل الأسرة الفقيرة تختلف كماً وكيفاً عن اللعبة التي تتيسر لطفل الأسرة الغنية.

تلك هي أهم الخصائص الجسمية والحركية لطفل المدرسة الابتدائية، بصفة عامة، ولا شك أن للآباء واجبات تجاه تلك الخصائص كما أن للمدرسة كذلك واجبات، وبمراعاة هدف البحث الحالي، فإننا سوف نهتم بالدرجة الأولى بواجبات الآباء تجاه أبنائهم في هذه المرحلة، والتي يمكن أن تتمثل في:

1 ـ على الآباء الاهتمام بتغذية أبنائهم في هذه المرحلة، حيث يحتاج الطفل النامي إلى غذاء أكثر. كما يجب عليهم أن يعودوه على العادات الصحية في تناول الطعام من حيث تنوعه وكميته وتوقيته، كما يجب عليهم الاستمرار في تعليمه آداب الطعام والشراب.

وقد عرضنا في الفصل السابق لواجبات الآباء تجاه أبنائهم بالنسبة لآداب الطعام والشراب كما جاءت في السنة النبوية. أما بالنسبة لتعويد الأطفال التنوع في تناول الطعام، فسوف نعرضه هنا إن شاء الله.

فقد أشار القرآن الكريم إلى إباحة كل ألوان الطعام: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[1].

والطيب من الرزق هو الطعام الحلال، أي الذي لم يحرمه الشرع بالنص أو الذي يأتي بطرق غير مشروعة كالسرقة والربا. وقال عز وجل: ﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾[2].

والرسول الكريم اعتبر كل أنواع الغذاء الحلال الطيب صالحة للبدن ومفيدة له، ولم يعب منها شيئاً.

* فعن أبي هريرة قال: «ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه»[3].

وقد أكدت السنة النبوية على حاجة الجسم إلى البروتينات، والتي توجد في اللحوم الحمراء والبيضاء:

* فعن زهدم الجرمي قال دخلت على أبي موسى وهو يأكل دجاجة فقال: ادْن فكل. «فإني رأيت رسول الله ﷺ يأكله»[4].

* عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يحتز من كتف شاة فأكل منها، فدعي إلى الصلاة فقام فطرح السكين فصلى ولم يتوضأ»[5].

* وعن أم سلمة: «أنها قربت إلى رسول الله ﷺ جنباً مشوياً فأكل منه ثم قام إلى الصلاة، وما توضأ»[6].

---

(1) سورة الأعراف، آية: 32.

(2) سورة سبأ، آية: 15.

(3) البخاري، جـ7، ص 96.

(4) الترمذي، جـ8، ص. ص 20 ـ 21 (قال عنه: حديث حسن).

(5) البخاري، جـ7، 98.

(6) الترمذي، جـ8، ص 24 (وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب).

ومن الأحاديث السابقة يتبين أن الرسول ﷺ أكل اللحوم الحمراء والبيضاء، وبصورة متعددة (المطهي والمشوي)، كما أنه عليه السلام كان حريصاً على تناول الأجزاء سهلة الهضم من الشاة.

بالإضافة إلى تناول اللحوم، فقد أكدت السنة النبوية على تناول «اللبن» لفائدته الصحية البالغة خاصة للأطفال.

* عن ابن عباس قال: دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة بنت الحارث فجيء بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وقال: «من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه. ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك فيه وزدنا منه. فإنه ليس من شيء يجزي من الطعام والشراب غير اللبن»[1].

وأما الاهتمام بالمواد السكرية:

* فعن عائشة أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل»[2].

* قال رسول الله ﷺ: من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر[3].

وأيضاً أشارت السنة النبوية إلى تناول الخضروات الطازجة والفاكهة، والباب فيه الكثير من التفاصيل.

وختاماً لهذه النقط، نُذكِّر الآباء بتوجيه أبنائهم بعدم الإسراف في الغذاء، بل الواجب هو الاعتدال. يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[4]. ويقول رسول الله ﷺ «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[5].

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ1، ص 397.

(2) البخاري: جـ7، ص 100.

(3) البخاري: جـ7، ص 104.

(4) سورة الأعراف، آية: 31.

(5) الترمذي: جـ9، ص 224 (وقال حديث حسن صحيح).

2 ـ على الآباء والمربين أن يهتموا بلعب الأطفال، وحسن تدريبهم على أداء المهارات الحركية، وتوجيه ألعابهم بما يعود عليهم بالفائدة. كذلك عليهم تشجيع الأطفال على الحركة التي تتطلب الشجاعة، مع تنوع هذه الحركات حتى لا يمل الطفل. ويهتم أيضاً بالهوايات كل حسب جنسه.

وقد اهتمت التربية الإسلامية باللعب أيَّما اهتمام، وأولته اهتماماً بالغاً، وقد فصلنا ذلك في الفصل السابق.

3 ـ ويحسن بالآباء أن يعودوا أولادهم على نظافة أبدانهم، وقيامهم بهذه المهمة بشكل مستقل عن والديهم. وقد اهتمت التربية الإسلامية كذلك بهذه الجوانب وراعتها في مختلف المواقف، سواء في العبادات أو في سلوكيات الحياة اليومية، وقد عالجنا هذه النقطة بتفصيل كاف في الفصل التالي تحت عنوان (مظاهر اهتمام الإسلام بالتربية الجسمية).

4 ـ وعلى الآباء أن يوجهوا أبناءهم للقيام بجانب من الأعمال المنزلية، وخدمة أنفسهم، كنظافة أسِرّتهم وحجراتهم، وأماكن الطعام، واللعب، وترتيب أدوات اللعب والمحافظة عليها، وترتيب كتبهم وأدواتهم المدرسية، وما إلى ذلك. وقد كان الرسول عليه السلام، قدوة حسنة لنا، فقد كان يساعد زوجاته، وكان يصلح نعله، ويخيط ثوبه.

ثانياً ـ التربية الاجتماعية:

تلعب الأسرة دوراً هاماً، بجانب المدرسة، في تربية طفل المدرسة الابتدائية اجتماعياً، ويبدو ذلك من خلال الرجوع إلى ما كتبه علماء نفس النمو وعلماء الاجتماع، وهذا ما تبينه النقاط الآتية:

1 ـ علاقات الطفل بأعضاء أسرته وجماعات الكبار:

تتميز علاقة الطفل بأمه في تلك المرحلة بالعطف والحب والطاعة، فهو يطيعها ويعاونها، ويشعر بألم إذا أصابها مرض أو مكروه، وهو فخور بها، يناقشها فيما تقول، وأحياناً لا يعجبه سلوكها فيصفها ببعض الألفاظ كاللؤم والمكر والخطأ وما إلى ذلك، ولكنه مع ذلك لا يشعر بالراحة إذا رجع من المدرسة ولم يجد أمه

بالمنزل. وفي العام التاسع يتجه الطفل إلى الاستقلالية فيحاول الاعتماد على نفسه ولا يطلب منها شيئاً يمكنه القيام به[1].

أما علاقته بأبيه فهي تقوم على أساس الاحترام والإعجاب والخوف، فالطفل يتقبل كلام الوالد على أنه قانون غير قابل للمناقشة. وفكرة الطفل عن أبيه أنه الإنسان الذي يعرف كل شيء، وهو لذلك يقبل عليه وقت وجوده في المنزل ولا يود أن يترك أباه دقيقة واحدة، وهو يسر جداً من لعب أبيه معه[2].

كما أن الطفل في بداية المرحلة يلتصق بأسرته التصاقاً كبيراً، فهو فخور بوالديه وبنظام المنزل وبمكانته في الأسرة، ويبذل جهده في المنزل ويسر جداً من النزهات العائلية، وزيارة أفراد الأسرة الآخرين.

أما في نهاية هذه المرحلة فيتميز سلوك الطفل باحتكاكه بجماعات الكبار، واكتسابه معاييرهم واتجاهاتهم وقيمهم، فهو يعد نفسه لكي يصبح كبيراً. فالولد يبدي استعداداً كبيراً لقبول آراء والده وإخوته، ويتعصب لآرائه ومعتقداته، ويلوح أنه على استعداد لمناقشة بعض المسائل الاجتماعية إذا أرشده شخص كبير يثق فيه. كذلك الحال في الفتاة، فهي تهتم بالأمور المنزلية وبالرأي العام، ومشكلات الزواج، ومشكلات الأسرة، وبالمظهر الخارجي وارتداء أحدث الأزياء، وهذا كله ناتج عن قابلية الطفل للإيحاء، وهنا يمكن للآباء والمعلمين أن يدربوا الطفل على الآراء الديمقراطية، كالحريات واحترام الغير واحترام النفس.

وعلى الآباء أن يوفروا للطفل فرص المشاركة الاجتماعية في مجتمع الأطفال والكبار، وتنمية حساسيته لحاجات ورغبات الآخرين. كأن يأخذ الوالد ابنه معه إلى المسجد للصلاة والتعرف على أطفال الجيران وآبائهم، كما يمكنه مصاحبة ولده في شراء الحاجيات من السوق. وهكذا بالنسبة للبنت.

---

(1) أحمد زكي: مرجع سابق، ص 142 ـ 143.

(2) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص 142 ـ 143.

2 ـ علاقته بجماعة الرفاق:

يزداد تأثير جماعة الرفاق على الطفل مع أواخر هذه المرحلة، حيث يكون التفاعل مع الأقران على أشده، ويشوبه التعاون والتنافس والولاء والتماسك، ويستغرق العمل الجماعي معظم وقت الطفل. ويفتخر الطفل بعضويته في جماعة الرفاق. ولكي يحصل الطفل على رضا الجماعة وقبولها له نجده يساير معاييرها ويطيع قائدها، ويرافق زيادة تأثير جماعة الرفاق نقص تأثير الوالدين بالتدريج[1].

وهنا تقع على الآباء مسؤولية تعليم الطفل كيفية اختياره لأصدقائه وكيف يتفاعل ويتعاون معهم.

كما تقع على الآباء مسؤولية متابعة الطفل عند اختياره لجماعة رفاقه خوفاً من جنوحها ـ ويمكن للآباء تشجيع الطفل على الانضمام لجماعات الكشافة والأشبال بالمدرسة والخروج في رحلات ومعسكرات للتدريب على تحمل المسؤوليات الاجتماعية والقيادة.

3 ـ الشعور بفرديته:

بمعنى أنه يشعر بأنه متميز عن غيره من الأفراد الذين يعيشون معه، وكذلك يشعر بفردية غيره من الناس، فإذا سألته عن مدرس اللغة قال لك: «إنه مدرس طيب، إلا أنه يحابي بعض الأفراد ويقسو على البعض الآخر»، وبالتالي فإنه يحاول أن يضفي على كل مدرس نوعاً من الخصوصية يتميز بها عن غيره من الناس[2].

وتقدير فردية الطفل هام جداً في هذه المرحلة، فمن الضروري أن ينال الطفل هذا التقدير في المنزل والمدرسة. فإذا ما فقد الطفل التقدير لشخصه، فإنه غالباً ما يتجه إلى الجنوح بأساليبه المختلفة البسيط منها والمعقد، كما قد ينعكس ذلك أيضاً على تحصيله الدراسي ويصبح متأخراً دراسياً.

---

(1) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص 246.

(2) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص 162.

لذا على الآباء والمعلمين أن يهتموا كثيراً بإنماء شعور الطفل بفرديته: في الملكية، وفي التعبير عن رأيه، وفي إعطائه بعض المسؤوليات البسيطة، وفي تنظيمه لشؤون الخاصة.

4 ـ التوحد مع الدور الجنسي المناسب Sex Role:

فالولد يتوحد مع جماعة الذكور، ويعمل على اكتساب صفات الذكورة الشائعة بين الشباب والكبار، وكذلك يسعى إلى اكتساب المعايير السلوكية والميول والاتجاهات، وأنواع الألعاب السائدة بينهم، ويهتم الصبي أيضاً بالنشاط التنافسي ولا سيما خلال الألعاب الرياضية والهوايات.

والبنت تتوحد مع جماعة الإناث، وتعمل على اكتساب صفات الأنوثة الشائعة بينهن. وكذلك اكتساب مختلف القيم والمبادئ والمعايير والاهتمامات العامة السائدة بينهن. وتهتم أيضاً ببعض نشاطات شغل أوقات الفراغ مثل: الحياكة والأشغال اليدوية مثل التطريز وأشغال الإبرة، بالإضافة إلى الأعمال المنزلية والطهي وما إلى ذلك[1].

وتتأثر عملية التنميط الجنسي بعملية التعلم بالتقليد، وتتأثر بوجود الوالد من نفس جنس الطفل، بمعنى أن الولد الذي ينشأ في كنف أبيه يظهر لديه السلوك الجنسي الذكوري بشكل أوضح من زميله اليتيم أو الذي ربته أمه بعد انفصالها عن أبيه، أو الذي يتركه والده لفترات طويلة سعياً وراء الرزق، وكذلك الحال بالنسبة للبنت.

كما تتأثر عملية التنميط الجنسي بالطبقة الاجتماعية، حيث يتم التنميط الجنسي في الطبقة الدنيا أسرع منه في الطبقتين الوسطى والعليا.

5 ـ الميل إلى عدم الاختلاط:

فالأطفال في هذه المرحلة لا يميلون للاختلاط مع أطفال من الجنس الآخر، فالأولاد يتجمعون معاً، والفتيات يتجمعن معاً، وكل مجموعة تمارس من الألعاب

---

(1) زيدان عبد الباقي: **الأسرة والطفل** (مكتبة وهبة، القاهرة، 1980)، ص 214.

ما يتفق وتطورها وإعدادها للمرحلة القادمة، مرحلة المراهقة. وتكون الاتصالات الاجتماعية بين الجنسين مشوبه بالفظاظة والمضايقات والخجل والانسحاب. ويظل الحال هكذا حتى مرحلة المراهقة.

6 ـ الاتجاهات الوالدية نحو الطفل:

فالطفل يحتاج إلى النمو الاجتماعي في جو أسري هادئ مستقر، ويحتاج إلى مساعدة والديه في هذه المرحلة الانتقالية، ويحتاج كذلك إلى الشعور بالتقبل من أفراد أسرته (والمجتمع بصفة عامة)، فالطفل عندما يشعر بالرفض من أفراد أسرته، فإنه يتخذ سلوكاً غير مقبول. وهذا بدوره يؤدي إلى رد فعل من الوالد، مما يؤدي إلى زيادة شعور الطفل بالرفض. وهكذا تتم الحلقة المفرغة التي يجب تجنبها حتى ينمو الطفل متوافقاً اجتماعياً.

فعلى الآباء أن يتجنبوا السلوك التسلطي والحماية الزائدة، والإهمال والرفض، والتدليل والقسوة وإثارة الألم النفسي، والتذبذب، والتفرقة.

7 ـ اللعب:

ولعب الأطفال في بداية هذه المرحلة هو امتداد للعبهم في الفترة السابقة، وإن كان يشوبه نوع من التقدم، فهو يشارك في لعب جماعة من خمسة أفراد بيد أن هذه الجماعة مهددة بالتفكك، فقد ينسحب منها أي عضو دون أدنى سبب، والطفل يلعب بين الآخرين، ولعبة لازال إيهامياً، والتعاون بين الأطفال في لعبهم لا زال ضعيفاً لأن وعي الطفل بالجماعة لا زال ضعيفاً لا يهتم بخير الجماعة ولا بالمحافظة عليها، بل يهتم بالتعبير عن نفسه وإشباع ذاته[1].

أما لعب الأطفال في نهاية المرحلة الابتدائية فهو يختلف عن لعبهم في بداية المرحلة، ولعبهم في المرحلة التالية (المراهقة)، فلعبهم السابق يتسم بالانعزالية، ولعبهم في المراهقة يتصف بأنه لعب جمعي مع الآخرين، فإن لعبهم في هذه الفترة (9 ـ 12 سنة) يتميز بالفردية، فهم ولهون باللعب الذي يحتاج إلى قوة في العضلات،

---

(1) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص 143.

وسرعة فيها كالمطاردة والجري، وهذا يرجع إلى كون الصبي نشطاً ولا يستطيع الاستقرار في مكان واحد مدة طويلة بل يميل إلى الحركة والانطلاق[1].

8 ـ اكتساب المفاهيم الأساسية للمجتمع[2]:

يستطيع طفل الصفوف الثلاث الأخيرة من المرحلة الابتدائية أن يدرك المعاني المجردة إذا وضعت له في قالب بسيط، فهو يدرك معنى الحق ومعنى الواجب، وهو يقارن نفسه بغيره من إخوته وزملائه في الفصل ويسعى وراء تحقيق المساواة والعدل، وهو يود أن يشارك في عمل جمعي للفصل أو للمدرسة أو للأسرة فيدرك معنى التعاون. كما أن مفهومه عن الدين هو مجموعة أساليب المعاملات بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان وربه.

وعلى الوالدين أن يغرسا في الطفل بعض السمات الاجتماعية الإيجابية للشخصية مثل الكرم، والشجاعة، والإيثار، ومساعدة الآخرين والتعاون معهم، وإعانة الضعفاء والمرضى والعجزة، وذلك عن طريق القدوة الحسنة والممارسة الفعلية، وليس عن طريق الإرشاد والتوجيه النظريين.

هذه هي أهم السمات الاجتماعية لطفل المدرسة الابتدائية، ومن خلالها اتضحت بعض المسؤوليات الملقاة على عاتق الآباء وكذلك المعلمين والمربين بصفة عامة وسوف نلقي مزيداً من الضوء على هذه الواجبات في ضوء ما جاء في التربية الإسلامية.

التربية الإسلامية والجانب الاجتماعي للتربية:

1 ـ تربية الأبناء على بر الوالدين:

يتميز سلوك الأبناء في هذه المرحلة وأواخر المرحلة السابقة بسمة التقليد والمحاكاة لما يرونه ويسمعونه ممن حولهم، خاصة من أعضاء أسرتهم الذين يثقون فيهم، ويتقبلون نصائحهم وتوجيهاتهم على أنها أمور مسلم بها.

---

(1) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص 163.

(2) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص 169. وأيضاً زيدان عبد الباقي: مرجع سابق ص. 212 ـ 213.

«وهنا يلزم أن يكون الجو الأسري المحيط بالأبناء الصغار يتسم بالهدوء وقلة المشاجرات والمشاحنات والتي تنعكس بلا شك على نفسيه الأبناء. ويرى علماء النفس أن من أهم العوامل التي تؤثر على التكوين النفسي والعصبي للأبناء الصغار الجو المنزلي، فإذا كان الجو المنزلي مليئاً بالمحبة والعطف والهدوء والثبات، يكون الطفل في الغالب مطمئناً على نفسه، ويلاحظ أن شعور الطفل بقوته، وثقته بنفسه وظهوره بمظهر الاستقرار والثبات، يعكس صورة منزل تسوده العلاقات الطيبة، وأما الاضطراب المنزلي والمشاجرات والمنازعات بين الآباء والأمهات فإنها تعتبر من أهم العوامل التي تؤدي إلى فقدان ثقة الطفل بنفسه نتيجة لفقدانه اطمئنانه إلى الجو المنزلي»[1]. وهذا يلقي على الآباء تبعة التصرفات الحكيمة والمتزنة والأخلاقية حتى يراها ويسمعها أبناؤهم فيقتدون بها. والقرآن الكريم يدعو الآباء إلى حماية ورعاية وتوجيه أبنائهم وزوجاتهم إلى الخير والصلاح دائماً، بالفعل وليس بالكلام:

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[2] ويقول أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[3].

فالأب والأم مسؤولان عن تربية أولادهما على البر، بما يقدمانه من بر ظاهر في حياتهما اليومية مع آبائهم وأمهاتهم، ولما يقومان به من تربية تقوم على طاعة الله تعالى، حتى يشب الأولاد على نحو أبيهما وأمهما. وعلى الآباء أن يخاطبوا أولادهم بالأسلوب الذي يتفق مع النمو العقلي الذي وصل إليه أولادهم حتى يستطيعوا أن يفهموا كلامهم وأفعالهم ويستوعبوها.

والمعاملة الكريمة من الآباء والأمهات لآبائهم وأمهاتهم، قضى بها الله تعالى ورسوله الكريم، واعتبرت من موجبات الإيمان بالله. قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ

(1) عبد العزيز القوصي: **أسس الصحة النفسية**. ط9 (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969) ص335.

(2) سورة الصف، آية: 2 ـ 3.

(3) سورة التحريم، آية: 6.

أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1].

وعلى الأم أن تذكر أباها وأمها بما يليق بهما من حب واحترام وطاعة، حتى تسمع وابنها، فيحتذيان بها، ونذكرها بقول الله تعالى في شأن مكانة الأم:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

فعلى الأبناء أن يلتزموا بطاعة آبائهم، فإنها تفتح لهم أبواب الجنة، وليحذروا معصيتهم فإنها تفتح أبواب جهنم وبئس القرار.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «رغم أنف ثم رغم أنف»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم»[4].

وعن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال أبوك»[5].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد؟ قال: «ألك أبوان؟» قال: نعم. قال «ففيهما فجاهد»[6].

---

(1) سورة الإسراء، آية: 23 ـ 24.

(2) سورة لقمان، آية: 14 ـ 15.

(3) مسلم بشرح النووي، جـ5، ص 416. باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

(4) الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ص 138، رواه الطبري في الأوسط.

(5) فتح الباري، جـ13، ص 4. كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة.

(6) البخاري، جـ8، ص 2.

ولذا ننصح الآباء الذين يغفلون جانب التربية لأولادهم في الصغر، ويغضون طرفهم عما يحدث من أفعال خارجة عن آداب الإسلام، ومنهم من يعجب بهذه التصرفات لحدوثها من أطفال، ولا يقدرون ما لهذا التصرف من أثر سيئ على الأولاد في مراحل حياتهم التالية، يتجرعون مرارته بعد ذلك، ولا يفيقون حتى تقع بهم الكارثة، وذلك بتعدي أولادهم عليهم وخروجهم عن توجيهاتهم وقد يصل أحياناً الإيذاء بالقول والفعل (السباب والشتائم والتعدي والضرب، وسرقة أموالهم. وقد تصل الأمور لحد قتلهم إن منعوهم من فعل شيء أو ردوا طلبهم بغير إجابة).

2 ـ إفساح المجال للعب:

فقد تبين من عرض خصائص السلوك الاجتماعي للطفل في مرحلة المدرسة الابتدائية، أن الطفل يميل إلى الحركة والنشاط والجري والقفز وزيادة نمو عضلاته الكبرى وليونتها. ولذا فإن الطفل في حاجة إلى الخروج إلى أماكن مفتوحة يستمتع في بنشاطه ولعبه، خاصة في وجود الآباء والإخوة والأخوات الذين يشاركونه مرحه ولعبه. وقصة سيدنا يوسف مع إخوته توضح لنا ذلك، حيث كان يوسف عليه السلام طفلاً (أو صبياً) وطلبوا من أبيه أن يأخذوه معهم في البادية كي يلعب ويجري بحرية. قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]. كما أن رسول الله ﷺ أكد على حاجة الأطفال والصبيان إلى اللعب بكل صوره.

عن ثابت قال: «قال أنس أتى رسول الله ﷺ على غلمان يلعبون فسلم عليهم»[2].

وعن سهل بن سعد قال: مر رسول الله ﷺ على صبيان وهم يلعبون بالتراب، فنهاهم بعض أصحاب النبي، فقال: «دعهم فإن التراب ربيع الصبيان»[3].

---

(1) سورة يوسف، آية: 12.

(2) سنن أبي داود، جـ4، ص 352.

(3) الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج،8، ص 159.

والغلمان والصبيان تقع أعمارهم في مرحلة التعليم الابتدائي (6 ـ 12 سنة) أي لم يبلغوا الحلم (مرحلة المراهقة). ويدل رد فعل الرسول عليه الصلاة والسلام على ما شاهده من لعب هؤلاء الغلمان، بإقراره على ذلك، ومدى حاجتهم إلى هذا النشاط. بل إنه عليه السلام كان يشجع الشباب على اللعب الهادف المفيد، سواء بالأسهم أو الحراب أو الجري والسباق والمصارعة وما إلى ذلك من ألوان التربية البدنية[1].

3 ـ إكسابهم الصفات الشخصية والاجتماعية الإيجابية:

في هذه المرحلة تتسع دائرة الطفل الاجتماعية، وتزداد علاقاته وارتباطاته بالآخرين في الحي والمدرسة وجمعيات النشاط، ويحتاج إلى التكيف السليم مع المواقف والاتجاهات الجديدة في حياته. ويبدأ في تمييز الأفعال وأنماط السلوك التي تكون محل رضا الآخرين أو سخطهم، ويرتبط رضا وسعادة الطفل برضا الآخرين عنه، كما أنه في حاجة تقبل الآخرين له ولأدواره التي يقوم بها في المجتمع، وهذا هو البداية الصحية للتكوين الاجتماعي والخلقي له.

وفي هذه المرحلة لا بد من الاهتمام بالميل الطبيعي لدى الطفل للمحاكاة والتقليد، لأنه من أهم سمات هذه المرحلة، كما أنه يعتبر المدخل الأساسي والرئيس للتطبيع الاجتماعي لطفل هذه المرحلة. فعن طريق التقليد والمحاكاة لمجتمع الكبار من حوله يكتسب الطفل كل معايير الجماعة والقيم والاتجاهات. وتنمو لديه نوازع الخير، أو ما يسمى بالضمير.

وهذا ما أبرزته السنة النبوية ودعت إلى وجوب مراعاته بالتبصر الحكيم من طرف الآباء والمربين، وأن يكونوا القدوة المثلى في الخلق القويم، والسلوك الكريم، وضبط النفس. واحترام النفس، والتحلي بالفضائل والخصال الحميدة.

قال رسول الله ﷺ: «... والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة»[2].

---

(1) يمكن الرجوع إلى تفاصيل ذلك في الفصل الثالث تحت عنوان (اللعب).

(2) البخاري: جـ9، ص 77.

ولا شك أن أولى مسؤوليات الرعاية التي يشير إليها الحديث الشريف، يكون الوالدان قدوة حسنة لأبنائهما في التقوى والصلاح وحسن الخلق والتمثل بالقيم والآداب الاجتماعية.

قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[1].

ومن أهم تأثيرات الوالدين في تربية أولادهم، التي يشير إليها هذا الحديث، تأثيرهم بالقدوة، وتأثر الأبناء بهم بالمحاكاة والتقليد، واكتسابهم لكثير من الصفات الخلقية والاجتماعية، وانعكاس ذلك على مواقفهم السلوكية.

وسوف نتناول جانباً هاماً من الخصال المحمودة التي يجب أن يتحلى بها الآباء والمربون، حتى يقتدي بهم أولادهم وطلابهم. وسوف نركز على جانب لهذه الأخلاقيات والسلوكيات الاجتماعية، وليس كل هذه الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم. وهذه الصفات تتسم بأنها تمارس بكثرة من جانب الصغار مع الكبار، ويمكن أن يفهم مغزاها طفل هذه المرحلة، وبالتالي يستطيع أن يتمثلها في سلوكه الآن ومستقبلاً.

(أ) الإحسان:

الإحسان هو ركن أساسي من أركان العقيدة الإسلامية، وهو خلق فاضل لا بد أن يتحلى به المسلم. والإحسان يعني الإخلاص والصدق في النية ويعني الإتقان والجودة في الأداء، ويعني البر والرحمة والرفق في المعاملات ويعني المراقبة وضبط سلوكياتنا بما يرضي الله عز وجل عنا.

قال رسول الله ﷺ في تعريفه «الإحسان»: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

---

(1) مسلم: جـ 8، ص 52.

(2) مسلم، جـ1، ص 29.

وعن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته ليرح ذبيحته»[1].

وعلى الآباء أن يستغلوا المواقف الاجتماعية والمناسبات والأعياد، ليعرفوا ويوجهوا أولادهم بمعنى الإحسان.

(ب) الأمانة:

الأمانة خلق فاضل رفيع، وثمرة من ثمرات الإيمان الكامل بالله تعالى وتقواه، والإخلاص له، في السر والعلن، ومراقبته الدائمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[3].

وقال أيضاً: «الأمانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر»[4]، وقال كذلك: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[5].

وفي مقابل خلق الأمانة وضرورة التحلي بها، فقد حذر الإسلام المسلمين من صفة الخيانة، والتي تدل على لؤم النفس ووضاعتها، وضعف وازعها الديني والخلقي. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[6].

وقال رسول الله ﷺ: «يطبع المؤمن على كل خلق: ليس الخيانة والكذب»[7]، وقال أيضاً: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به»[8].

---

(1) مسلم، ج6، ص 72.

(2) سورة النساء، آية: 58.

(3) المتقي الهندي: **كنز العمال**، جـ1، ص 145، رواه البخاري في الأدب.

(4) المرجع السابق، ص 145، رواه الديلمي في الفردوس.

(5) البخاري، جـ8، ص 30.

(6) سورة الحج، آية: 38.

(7) المتقي الهندي: كنز **العمال**، جـ1، ص 268، رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(8) مسلم، جـ5، ص 142.

(ج) الرحمة:

وهي من الصفات الخلقية التي يجب أن يتحلى بها المسلم، وهي صفة من صفات الله عز وجل سبقها على غضبه، وبالرحمة يسود الحب والود بين الناس فيتعاطفون ويتكافلون ويتعاونون، وتتضافر جهودهم، كل حسب مقدرته وكفاءته. قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عند فوق العرش: أن رحمتي تغلب غضبي»[2] وقال أيضاً: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»[3] ويقول كذلك: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[4]. ويقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله»[5].

ووجهتنا السنة النبوية كذلك إلى الأخذ بالرحمة للحيوان والرفق بها: بإطعامها وسقيها وإراحتها، ووقايتها وعلاجها من الأمراض، وعدم تعذيبها بالضرب أو تحميلها ما لا تطيق، أو المثلة بها، وعدم لعنها.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش»، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب. فشكر الله له، فغفر له «قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»[6] وعنه أيضاً

---

(1) سورة آل عمران، آية: 159.

(2) مسلم، جـ8، ص 95.

(3) البخاري، جـ8، ص 12.

(4) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، جـ8، ص 110.

(5) المصدر السابق، ص 111.

(6) البخاري، جـ8، ص 11.

أنه قال: «إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السنة فأسرعوا عليها السير»[1] وقال كذلك: «عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض»[2].

وعن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ: قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»[3].

وعن عمران بن حصين قال: بينما كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة» قال عمران: «فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد»[4].

وعن مجاهد أن النبي ﷺ «نهى عن التحريش بين البهائم»[5] كذلك «نهى عن الوسم في الوجه»[6]، و«نهى رسول الله أن يقتل شيء من الدواب صبراً»[7].

(د) الصدق:

والصدق يعتبر من الصفات التي يتم بها الإيمان، ويكمل بها الإسلام، أمر الله تعالى به وجعله طريقاً إلى الجنة، وحث عليه رسول الله ﷺ عليه لأنه مصدر راحة الضمير، وطمأنينة النفس، ووسيلة نشر الثقة بين الناس، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(1) مسلم، جـ6، ص 54.

(2) مسلم، جـ8، ص 35.

(3) مسلم، جـ6، ص 72.

(4) مسلم، جـ8، ص 23.

(5) الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في كراهية التحريش بين البهائم، جـ7، ص 203.

(6) المرجع السابق، ص 203.

(7) مسلم، جـ6، ص 73.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة»[2].

وقال «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[3].

وقال أيضاً: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذباً وكتما محق بركة بيعهما»[4].

وفي مقابل صفة الصدق نجد صفة الكذب وقول الزور والبهتان، وقد حرمتها الشريعة الإسلامية لما لأثرها على الفرد والمجتمع من خراب وتفكك وقطع الأرحام، وسيادة روح البغضاء والتناحر والتنافر.

قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور، وكان رسول الله متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»[5].

ويقول أيضاً: «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان»[6].

وقال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منَّه، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره»[7].

---

(1) سورة التوبة، آية: 119.

(2) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب اعقلها وتوكل، جـ9، ص 321.

(3) البخاري، جـ8، ص 30.

(4) مسلم، جـ5، ص 10.

(5) مسلم بشرح النووي، جـ2، ص. ص 81 ـ 82، طبعة دار الفكر.

(6) مسلم، جـ1، ص 86.

(7) المرجع السابق، ص 8.

(هـ) الكرم:

وهو من الأخلاق الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها المسلم، باعتباره سمة من سمات النفس الظاهرة الكريمة الملتزمة بالبر بالأهل والأصدقاء والمعارف وبعون غيرهم من المحتاجين.

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قال: وما جائزته يا رسول الله؟» قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[2].

وعن عبد الله بن عمرو أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف»[3] وقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة»[4]. وقال: «ما نقصت صدقة من مال»[5]...

وقال: «لا يدخل الجنة خب، ولا منان، ولا بخيل»[6].

وفي مقابل صفة الكرم توجد صفة البخل المذمومة، لأنها تجعل الإنسان يتكالب على الكسب المادي، وجمع المال، كغاية في حد ذاته ويحرم نفسه وأهله من التمتع الحلال به، ويمنع استثماره في العمران وتطوير المجتمع.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[7].

---

(1) سورة آل عمران، آية: 92.

(2) البخاري، جـ8، ص 13.

(3) المرجع السابق، ص 65.

(4) المرجع السابق، ص 14.

(5) مسلم، جـ8، ص 21.

(6) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في البخل، جـ8، ص 141 ـ 142.

(7) سورة آل عمران، آية: 180.

وقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»[1].

وقال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم: حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[2].

وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[3] وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[4].

(و) العدل:

وهو من أرفع الفضائل الخلقية، والتي اتصف بها الله سبحانه وتعالى، وحث الرسول ﷺ على التحلي بها، والالتزام بها تجاه الأهل والأقارب والناس أجمعين.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[5].

وقال ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم وما ولوا»[6].

---

(1) البخاري، جـ8، ص 98.

(2) مسلم، جـ8، ص 18.

(3) مسلم، جـ 3، ص. ص 83 ـ 84.

(4) المرجع السابق، ص 70.

(5) سورة المائدة، آية: 8.

(6) مسلم، جـ6، ص 7.

وقال عليه السلام: «سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها»، قال: «إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه»[1].

كما أشار رسول الله ﷺ إلى العدل بين الأولاد وعدم التفرقة بينهم حتى في القُبَل، فقال: «إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل»[2].

وقال ﷺ: «ساووا بين أولادكم في العطية»[3].

وعن النعمان بن بشير أن أباه نحل ابناً له غلاماً، فأتى النبي ﷺ يُشْهِده، فقال: «أكلُ ولدك نحلته مثل ما نحلت هذا؟، قال: لا. قال: فارددده»[4].

وكما حثت الشريعة الإسلامية على التحلي بصفة العدل فإنها حذرت من الظلم والبغي والجور، لأنها تقطع وشائج القربى، وتمزق صلات المحبة وتفرق بين أفراد المجتمع الواحد.

قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «إني حرمت على نفسي الظلم وعلى عبادي فلا تظالموا»[6].

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»[7].

وقال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[8].

---

(1) البخاري، جـ8، ص 203.

(2) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ6، ص 434.

(3) رواه الطبراني. عبد الله علوان، جـ1، مرجع سابق، 331.

(4) الترمذي، الأحكام، ما جاء في النحل والتسوية بين الولد، جـ6، ص 126.

(5) سورة الشعراء، آية: 227.

(6) مسلم، جـ8، ص 18.

(7) المرجع السابق، ص 18.

(8) مسلم، جـ9، ص. ص 18 ـ 19.

وقال عليه السلام: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[1].

وهكذا يمكن أن نتتبع الصفات الأخلاقية والاجتماعية التي حض الإسلام على التحلي بها والعمل بها، ليكون الآباء قدوة لأبنائهم في مختلف المواقف، ليكونوا المثل الأعلى أمامهم، متجسداً في شكل سلوكيات فعليه، وليس في شكل نصائح وألفاظ شفوية. لا يستطيع الصبي أو الصبية أن يستوعبها ويهضمها ويتمثلها في أفعاله.

ويجب ألا ينسى الآباء، في مجال إكساب أبنائهم الصفات الاجتماعية المحمودة، سلوكياتهم تجاه من حولهم مثل الآباء، والأقارب والجيران، والرفاق، والمعلمين. فإذا ما راعى الآباء حقوق هذه الفئات الاجتماعية ودربوا أولادهم عليها، نشأ أبناؤهم على تلك السيرة المحمودة. وسوف نشير إشارة سريعة لبعض هذه الحقوق، تذكيراً للآباء وعملاً بقوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

حقوق الأقارب:

علاقة الفرد بأقاربه يجب أن تكون علاقة البر والصلة والإحسان، والتعاطف والتعاون والتكافل، والاحترام والتقدير، وأن تنأى عن التحاسد والتباغض، والتناجش، والتدابر، والخصام والتقاطع.

قال تعالى: ﴿ وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[3]. وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[4]. وقال: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[5]. وقال: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[6].

---

(1) البخاري، جـ8، ص 127.

(2) سورة الذاريات، آية: 55.

(3) سورة الأحزاب، آية: 6.

(4) سورة النحل، آية: 90.

(5) سورة النساء، آية: 1.

(6) سورة الإسراء، آية: 26.

ونهى الله تعالى عن قطع صلة الأرحام، فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»[2].

وقال ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[3].

وعن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي.فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفُّهم الملّ. ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[4].

وعد رسول الله ﷺ صلة الرحم من الأعمال التي تدخل الجنة، حيث روي أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار. فقال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل رحمك»[5].

فعلى الآباء أن يبصروا أولادهم بحقوق القرابة والرحم، لكي يتطلعوا من صغرهم إلى حب الاجتماع بهم، وزيارتهم في المناسبات الاجتماعية وغيرها. وهذا لا يحدث إلا إذا بدأ الآباء بأنفسهم وكانوا خير قدوة لأبنائهم.

حقوق الجار:

ويحددها الإسلام بأربعة هي: «ألا يلحق الرجل بجاره أذى ، وأن يحميه ممن يريده بسوء، وأن يعامله بإحسان، وأن يقابل جفاءه بالحلم والصفح. ويتمثل الأذى في: الزنى والسرقة والسباب والشتائم ورمي القاذورات، وأخطرها الزنى والسرقة وانتهاك الحرمة»[6].

---

(1) سورة محمد، آية: 23.

(2) مسلم، جـ8، ص 7.

(3) مسلم، جـ8، ص 7.

(4) المرجع السابق، ص 8.

(5) مسلم، مج (1)، ص 43، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(6) عبد الله علوان، مرجع سابق، ص. ص 400 ـ 408.

والآيات التي تحض على مراعاة الجار وحسن رعايته والإحسان إليه، ورد بعضها في الصفحات السابقة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾[1].

وأما السنة النبوية ففيها الكثير، ومن ذلك:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[3].

وعن أبي ذر قال: قال: رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»[4].

وقال ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْثن شاة»[5] والفِرثن هو خف البعير، وقد استعير هنا للشاة فسمي ظلفها به.

وعن عائشة قالت: قلت يا رسول الله إن لي جارين فأيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً»[6].

وقال ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»[7]. بوائقه تعني شروره.

ثالثاً ـ التربية الإيمانية:

تعتبر التربية الإيمانية من أهم أنواع التربية التي تؤثر في شخصية الفرد تأثيراً كبيراً فتجعله ميالاً للخير، متحلياً بالصفات الحميدة، ملتزماً في سلوكه وتصرفاته

---

(1) سورة النساء، آية: 36.

(2) البخاري: جـ8، ص 12.

(3) المرجع السابق، ص 13.

(4) مسلم، جـ8، ص 37.

(5) البخاري، جـ8، ص. ص 12 ـ 13.

(6) المرجع السابق، ص 13.

(7) المرجع السابق، ص 12.

التزاماً ذاتياً مستمراً بالخلق الكريم، عاملاً على مساعدة الآخرين، محباً للتعاون، يقبل على الحياة بعزيمة متوقدة، لا يعجز إن اعترضت سبيله العقبات في محاولاته المستمرة لتخطّيها، مستعيناً بالله عز وجل الذي يؤمن به، ويلجأ إليه في الشدائد، ويثق في عونه وهدايته وتوفيقه[1].

وسوف نتناول موضوع التربية الإيمانية وواجبات الآباء تجاه أبنائهم بالنسبة لهذا البعد، وذلك من خلال هذه النقاط الرئيسة:

1 ـ مفهوم التربية الإيمانية.

2 ـ أهمية التربية الإيمانية وضرورتها.

3 ـ وسائل التربية الإيمانية.

4 ـ انعكاسات التربية الإيمانية ونتائجها.

ونبدأ بدراسة النقطة الأولى:

1 ـ مفهوم التربية الإيمانية:

ترجع كلمة الإيمانية إلى مفهوم كلمة «الإيمان» وهي في اللغة تعني التصديق، أما في الاصطلاح فلا تخرج عن معنى التصديق بكل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق ـ الوحي ـ من الحقائق والأمور الغيبية[2] ويصف لنا أحد الباحثين معنى كلمة (إيمان):

إن الإيمان في حقيقته عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان. فلا بد من إدراك ذهني تنكشف به حقائق الوجود على ما هي عليه في الواقع، وهذا الاكتشاف لا يتم إلا عن طريق الوحي الإلهي المعصوم.

ولا بد أن يبلغ هذا الإدراك العقلي حد الجزم الموقن، الذي لا يزلزله شك ولا شبهة: ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[3]، ولا بد أن يصحب هذه المعرفة الجازمة إذعان قلبي، وانقياد إرادي، يتمثل في الخضوع والطاعة لحكم من

(1) عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص 326.

(2) عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ1، ص 155.

(3) سورة الحجرات، آية: 15.

آمن به مع الرضا والتسليم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1]. «ولا بد أن يتبع هذه المعرفة، وهذا الإذعان حرارة وجدانية قلبية، تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة، والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالنفس والمال»[2].

«وعناصر الإيمان الأساسية هي الإيمان بالله، والإيمان بالنبوات، والإيمان بالآخرة. ويمكن أن تجمل في الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده، الإيمان بوحدانيته، والإيمان بكماله»[3].

ومن عرض مفهوم الإيمان يمكن مناقشة مفهوم التربية الإيمانية: فيرى البعض بأنها: ترسيخ القوى الروحية لدى الناشئين وغرس الإيمان في نفوسهم إشباعاً لنزعتهم الفطرية للتدين، وتهذيب غرائزهم، والسمو بنزعاتهم، وتوجيه سلوكهم على أساس القيم الروحية والمبادئ والمثل الأخلاقية التي تستمد من الإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه، ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره[4].

ويمكن قبول التعريف السابق للتربية الإيمانية إذا سلمنا بمعنى الإيمان كما أورده الدكتور يوسف القرضاوي.

وعلى ذلك فإن حق الأبناء في التربية الإيمانية يوجب على الآباء العمل على أداء هذا الحق إلى أبنائهم، فعلى الأب أن ينشئ أولاده منذ نعومة أظفارهم على هذه المفاهيم والأسس الإيمانية حتى يرتبطوا بالإسلام عقيدة وشريعة.

2 ـ أهمية التربية الإيمانية وضرورتها:

وسوف نعالج هنا ضرورة التربية الإيمانية للفرد عامة، ولطفل المدرسة الابتدائية بشكل خاص. وتتمثل هذه الضرورة في:

---

(1) سورة النساء، آية: 65.

(2) يوسف القرضاوي: **الإيمان والحياة** (دار المعرفة، الدار البيضاء ـ المغرب، د. ت.) ص 20.

(3) المرجع السابق مباشرة، ص 25.

(4) عبد الحميد الصيد الزنتاني: مرجع سابق، ص 326.

(أ) الحاجة إلى الإيمان والعقيدة:

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾[1] فهذه الآيات تدل على أن الإنسان خلق من عنصرين أساسيين: عنصر مادي وآخر روحي. والإنسان لا يكمل بمجرد قواه البدنية والنفسية التي بها يأكل ويشرب وينكح ويغضب وينال سائر لذاته ووسائل حياته، لأن هذه القوى توجد في الحيوان كما توجد في الإنسان، ومن ثم فإن وجودها في الإنسان لا يحقق له الكمال الحقيقي وإنما يتحقق له مثل هذا الكمال، بكمال عقله وصفاء روحه وتخففها من قيود المادة وأوزارها[2].

وهذا الجانب الروحاني في الطبيعة البشرية لا بد له من إشباعه كما يشبع الجانب الجسدي بالطعام والشراب والزواج..، ولذا فإن الله قد فطره على التوجه بفطرته إلى البحث عن القوة الغيبية الكبرى المسيطرة على مقدرات هذا الكون، وهو في بحثه عن هذه القوة الخفية، والتي يلجأ إليها في أوقات شدته وكربه، لجأ إلى عبادة بعض مظاهر الطبيعة التي شعر بقوتها وعجز عن تفسيرها، كالريح، والشمس، والقمر، والنار، والحيوانات، والأصنام، وغيرها مما اتخذه رمزاً لقوى غيبية قاهرة يتعبد لها، ويخضع روحه لها.

وبالرغم من صور الشرك السابقة، إلا أنها تعبر عن محاولة الإنسان المستمرة لإشباع حاجته الفطرية إلى الإيمان والعقيدة. واقتضت رحمة الله بعباده، وعدم تركهم في ضلالهم وتخبطهم، بأن أرسل إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين، ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾[3]، ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾[4].

---

(1) سورة السجدة، آية: 7 ـ 9.

(2) عمر محمد التومي الشيباني: أهمية الإنسان ومفهومه وأبعاد الطبيعة البشرية في الفكر الإسلامي: مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ع (4)، 1987، ص 28.

(3) سورة الإسراء، آية: 15.

(4) سورة النساء، آية: 165.

(ب) التربية الإيمانية تصقل الفطرة الإنسانية:

يقول الإمام الغزالي: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعلمه، نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه، وكل معلم له مؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والولي له»[1]. ولعل كلام الغزالي يشرح قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[2] وهذا دلالة على أن الإنسان يولد مزوداً باستعدادات مختلفة، إن لم تكن متناقضة، فهو على استعداد لأن يسلك سبيل الرشاد والصلاح، كما أنه على استعداد ليسلك سبيل الغي والفساد، وواجب الأبوين هنا يستلزم توجيه أبنائهما نحو طريق الخير، لأن في ذلك سعادة لهم ولأبنائهم وللمجتمع، والتربية الإيمانية للطفل توجه فطرته التي فطر الله الناس عليها، وتكسبها تمتيناً وتزيدها قوة وصلابة، حتى إذا كبر الطفل لا يستطيع أحد زعزعة إيمانه، وهذه هي الضرورة الثانية من ضرورات التربية الإيمانية للطفل.

(ج) التربية الإيمانية للطفل امتثال لأمر الله:

أمرنا الله عز وجل بأن نربي أبناءنا على الإيمان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[3] ويشرح ابن عباس هذه الآية بقوله: «اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي فذلك وقاية لهم ولكم من النار، وامتثال أمر الله واجب على العباد، لأنه خالقهم فهو أدرى بهم وبما يحتاجون إليه ويصلحون به. ويسعدون باتباعه، وهذه هي الضرورة الثالثة من ضرورات التربية الإيمانية للطفل».

---

(1) أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدين**. جـ3، (دار المعرفة، بيروت، 1983) ص 72.

(2) مسلم، جـ8، ص 52.

(3) سورة التحريم، آية: 6.

3 ـ وسائل التربية الإيمانية:

لا شك أن التربية الإيمانية واجبة على الآباء تجاه أبنائهم في كل مراحل النمو، ولكنها في مرحلة الطفولة الثانية (الوسطى والمتأخرة)، تتميز بانتقال نوعي: من غرس الإيمان بالله عن طريق التلقين والتكرار دون الحاجة إلى الأدلة، إلى غرس الإيمان بالله عن طريق التعليم النظري المصحوب بالأدلة، إضافة إلى الممارسة العملية وأداء الشعائر الدينية، سيما وإن الطفل في بداية هذه المرحلة يدخل المدرسة ويبدأ سن التمييز والإدراك.

ويؤكد هذا الارتباط بين سلوك الآباء المتدين وسلوك الأبناء واتجاهاتهم الدينية، أحد الباحثين بقوله:

«لقد أدت المقارنة بين اتجاهات الأطفال واتجاهات آبائهم الدينية إلى أن تلك الاتجاهات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، ويؤيد هذا، الفرض القائل بأن الفرد يتعلم القيم الدينية عن طريق الاحتكاك الاجتماعي، وعلاوة على ذلك، فقد وجد أن تشجيع الآباء لأبنائهم على اعتناق المبادئ الدينية كان مرتبطاً ليس فقط باتجاهات الأطفال الدينية، ولكن أيضاً بكثرة ارتيادهم لأماكن العبادة، ويوضح ذلك قيمة الدور الذي يمكن أن يقوم به الآباء في تنمية الجوانب الدينية والخلقية في أبنائهم»[1].

فكيف يحقق الآباء واجب التربية الإيمانية تجاه أبنائهم في هذه المرحلة.

(أ) الموعظة الحسنة:

أمر الله المسلم باتباع الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله بقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[2] والأب المسلم معني بهذا الخطاب، لأن أبناءه أولى بالدعوة من غيرهم، وأسلوب الموعظة الحسنة يعتبر مضمون النتائج بالنسبة لطفل السادسة، حيث إنه دخل سن التمييز، والموعظة الحسنة تنتج في مجال ترسيخ العقيدة تأثيراً بالغاً في نفس الطفل وعقله وقلبه، أما أسلوب التوبيخ والشدة فهو إن نفع وصلح للتربية الاجتماعية والجسمية فإنه لا يصلح ولا ينفع للتربية

(1) عبد الرحمن محمد عيسوي: دراسات سيكولوجية، (منشأة المعارف، الإسكندرية، 1983) ص 237.
(2) سورة النحل، آية: 125.

الإيمانية خصوصاً في سن التمييز، فالعقيدة لا إكراه فيها، ولا كبت في تحقيقها، خشية ردة الفعل المتوقعة في المستقبل، وقد حذر العملاء من استخدام الشدة في التعليم لا سيما في مرحلة الطفولة معتبرين أن من تربى بالقهر عاد عليه ذلك (بضيق النفس، وذهاب النشاط وحصول الكسل والحمل على الكذب والخبث والمكر والخديعة)[1].

هذا وتقتضي الموعظة الحسنة في تحقيق التربية الإيمانية أن يقوم الأب بما يلي:

1 ـ إذكاء الحس الإيماني لدى أبنائه:

وقد ذكر القرآن الكريم مثلاً أعلى في هذا الموضوع حكاية عن لقمان الحكيم وهو يرشد ابنه إلى وحدانية الله وقدرته المعجزة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2] ثم يتابع لقمان شرح قدرة الله لابنه فيقول له: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[3] ثم يوجه لقمان ابنه إلى ضرورة طاعة الله، وتنفيذ أوامره، والتقرب إليه بالعبادة، فيقول له: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[4].

2 ـ لفت نظر الطفل إلى نعم الله على الإنسان ووجوب شكرها:

وقد ذكر ذلك القرآن الكريم في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾[5]. ومنها أيضاً: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[6].

---

(1) علي زيعور: التربية وعلم نفس الولد في الذات العربية (دار الأندلس، بيروت، 1985) ص 291.

(2) سورة لقمان، آية: 13.

(3) سورة لقمان، آية: 16.

(4) سورة لقمان، آية: 17.

(5) سورة البلد، آية: 8 ـ 9.

(6) سورة عبس، آية: 24 ـ 32.

إن هذه الآيات وأمثالها، تدخل إلى عقل الطفل بدون صعوبة، لأن فيها تعليماً بالتدرج من المحسوس إلى المعقول، وذلك مما يتقبله عقل الطفل وقلبه، ويصل من خلال ذلك إلى قضية الإيمان عن اقتناع وحجة وبرهان.

وهناك قضايا أخرى تقتضيها الحكمة والموعظة الحسنة لا تخفى على الأب والمربي، تفرضها طبيعة العلاقة الأسرية، والإمكانيات الاقتصادية، مثل أن يأتي لأطفاله بفيلم عن مشاهد عن الطبيعة ويصحب ذلك تعليق يشير إلى إبداع الله في خلقه وحكمته في صنعه، ونعمه على عباده، والله تعالى بعد أن عدد بعض نعمه على خلقه، قال: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[1].

(ب) تعويد الطفل على أداء الشعائر الدينية:

أثبت علماء النفس أن مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة تعتبر بداية للإدراك والتمييز، والواجب على الآباء في بداية هذه المرحلة أن يعلموا أبناءهم الحلال والحرام، ويعلموهم أداء الصلاة.

يقول رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»[2].

ورغبت السنة النبوية في الالتزام بأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة لما في أدائها من هداية وتوبة وغفران.

يقول ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر»[3].

وبذلك تجد القيم الروحية لدى المسلم تعزيزاً وتأصيلاً ودفعاً مستمراً طيلة حياته، بما يقوي إيمانه ويجعله ملتزماً التزاماً ذاتياً في استقامته الخلقية، وقد كان الرسول المربي حريصاً على تخصيص أوقات معينة لتعليم نساء المسلمين أمور دينهم.

---

(1) سورة لقمان، آية: 11.

(2) أبو داود، جـ1، ص 185، طبعة دار الكتاب العربي.

(3) مسلم، جـ1، ص 144.

فعن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا» فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار» فقالت امرأة: «واثنين، واثنين، واثنين؟ فقال: واثنين، واثنين، واثنين»[1].

كما يجب على الآباء أن يعودوهم على الصيام، وذلك بدءاً بصيام نصف اليوم ثم بعض أيام من شهر رمضان، كما يجب عليهم أن يروجوا عنهم حتى لا يملوا إزاء الشعائر الدينية «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيباً»[2].

ويؤكد الإمام الغزالي أن سن التمييز يعتبر بداية سلوكية للعملية التربوية وخص منها التربية الإيمانية، فيقول: (ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ألا يسامح في ترك الطهارة والصلاة، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان).. «ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع، ويخوف من السرقة، وأكل مال الحرام، ومن الخيانة والكذب والفحش»[3].

(ج) القدوة الحسنة:

يعتبر التعليم بالقدوة الحسنة وسيلة فعالة في تربية الطفل بشكل عام، وفي التربية الإيمانية بشكل خاص، فعلى الوالدين أن يقوما بتوفير الجو الديني والروحي المطلوب في البيت الذي يعيشون فيه، ويتم ذلك بأن يطبق، الوالدان أمام الطفل أوامر الله، فلا يأمرانه بطاعة ثم يرتكبان معصية، كما يقومان بتأدية الشعائر الدينية أمامه كالصلاة والصيام وقراءة القرآن، كما يلتزمان بالصدق والإخلاص في التعامل، فقد ورد عن عبد الله بن عامر، قال: «دعتني أمي يوماً»، ورسول الله ﷺ

---

(1) مسلم، جـ8، ص 89.

(2) المتقي الهندي: منتخب كنز العمال، جـ6، ص 434 (رواه الحكيم، وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي في شعب الإيمان).

(3) الإمام محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ3، مرجع سابق، ص 74.

قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله: «أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»[1]. فلم يرض النبي ﷺ إلا الصدق في المعاملة وخصوصاً مع الطفل، لأن ذهنه يسجل هذه المواقف ويزن بها سلوك والديه إذا ما كبر، فإن كانا ملتزمين كان ذلك حافزاً له ومشجعاً على الالتزام، وإن كانا غير ذلك فقد يضل، وعندها لا يوجه اللوم إليه.

وقد كان النبي ﷺ القدوة الحسنة للمؤمنين، فوصفه ربنا ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، وأمرنا الله باتباعه لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[3].

(د) حسن اختيار الأصدقاء:

فعلى الآباء توجيه الناشئين إلى حسن اختيار أصدقائهم ممن يتحلون بالأخلاق الفاضلة والسلوك القويم، وذلك لتأثرهم بهم ومحاكاتهم لسلوكهم وتقليدهم لتصرفاتهم، وهو ما يؤثر في تكوينهم الروحي والخلقي بالإيجاب أو السلب.

قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[4] وقال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة»[5].

4 ـ انعكاسات التربية الإيمانية ونتائجها:

من الواضح أن التربية الإيمانية لها انعكاسات ونتائج في الحياة الإنسانية، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع. إذ يعتبر الإيمان سنداً رئيساً للحياة

---

(1) رواه أبو داود. مذكور في محمد صديق حسن خان البخاري: حسن الأسوة مرجع سابق، ص 457 باب كذب النساء.

(2) سورة القلم، آية: 4.

(3) سورة الأحزاب، آية: 21.

(4) أبو داود، جـ4، ص 402.

(5) مسلم، جـ8، ص. ص 37 ـ 38.

الاجتماعية وموجهاً صادقاً للعقل الإنساني، فإذا غرس هذا الإيمان في النفس الإنسانية وهي في مرحلة الطفولة، حصل النفع والصلاح للنفس والعقل.

ومن آثار التربية الإيمانية على الطفل كفرد:

1 ـ **الناحية النفسية:** ينعكس الإيمان بالله على نفس الطفل إيجابياً حيث يشعر بالطمأنينة القلبية عندما يقوم بأي عبادة، لأن العبادة صلة بين العبد المؤمن وربه، وربنا سبحانه وتعالى بين الإيمان والاطمئنان القلبي بقوله: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ** ﴾[1] وهذا الاطمئنان النفسي يسعى إليه العالم بأسره، وشكلت لأجله قوانين، وألفت لتحقيقه نظريات، وصرفت لتطبيقه أموال، ولكن لم يستطع أحد أن يؤمن السعادة والاطمئنان النفسي لأولاده، لأن سعادتهم واطمئنانهم يكمن بذكر الله والرجوع إليه، والناس بعداء عن ربهم فكيف يطمئنون؟.

2 ـ **الناحية العقلية:** أما آثار الإيمان بالله على عقل الطفل فتتلخص في توجيه عقله نحو التفكير الصحيح، لأن العقل الإنساني قد يبحث فيما لا فائدة ولا نتيجة من البحث فيه، فتضيع جهود سدى دون ثمار تؤتى، وعندما يؤمن الإنسان بالله، ينتظم تفكيره ضمن المنهاج الذي خلقه الله متناسباً مع عقل الإنسان، فلا يتيه في الضلالات التي تبعد العقل عن هدفه الحقيقي، ومن ذلك مثلاً أن الإسلام لا يسمح لعقل الإنسان بالخوض في مسألة يطرحها عليه الشيطان بقوله من خلق كذا؟ حتى يصل إلى (من خلق الله؟) وقد حذر النبي ﷺ من الخوض في ذلك بقوله «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله، فمن خلق الله. فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله»[2].

آثار التربية الإيمانية على المجتمع:

إن تنشئة الطفل على الإيمان بالله له أثر في الناحية الاجتماعية، إذ يفرض الإيمان بالله على الطفل سلوكاً اجتماعياً سليماً وقوياً، فيه الصلاح والخير للمجتمع

---

(1) سورة الرعد، آية: 25.

(2) مسلم، جـ1، ص. ص 83 ـ 84.

مثل الصدق والأمانة ونبذ الكذب والخيانة والفحش، إذ أن كل هذه الأخلاق حثت عليها النصوص الإسلامية، وتقتضيها التربية الإيمانية لأن الإيمان لا ينفصل عن العمل، وقد ربط ربنا سبحانه وتعالى في مواضع متعددة بين الإيمان والعمل، منها ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

رابعاً ـ التربية العقلية:

التربية العقلية واجبة على الآباء تجاه أبنائهم في كل مراحل نموهم، ولكي نتعرف على كيفية تحقيق هذه التربية، لا بد أن نتعرض للتطورات العقلية التي تطرأ على الطفل في مرحلة المدرسة الابتدائية، من خلال آراء علماء نفس النمو.

يذكر الباحثون في علم النفس أن العقل يقوم بعدة عمليات معرفية وهي:

الإدراك، والتذكر، والاستدلال، والاستبصار، والتبصر، ويحسن بنا أن نعرف كل عملية من هذه العمليات، قبل تطبيقها على مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة[2].

الإدراك:

هو العملية التي تشير إلى تفسير البيانات التي تصلنا من البيئة الخارجية والبيئة الداخلية عن طريق الحواس.

التذكر:

هو العملية التي تشير إلى اختزان واستدعاء المعلومات التي تأتينا عن طريق الإدراك.

الاستدلال:

هو العملية التي تشير إلى استخدام المعرفة في إجراء الاستنباط والوصول إلى النتائج.

---

(1) سورة العصر، آية: 1 ـ 3.

(2) محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق ص 323.

التبصر:

هو العملية التي تشير إلى تقييم الأفكار والحلول من حيث الكيف.

الاستبصار:

ويشير إلى اكتشاف علاقات جديدة بين وحدتين أو أكثر من المعرفة.

والطفل في مرحلة المدرسة الابتدائية يقوم عقله بهذه العمليات المعرفية، مع تفاوت في نسبها ودرجاتها، ووجود تقدم عن مرحلة الطفولة المبكرة.

يأخذ الإدراك عند الطفل في هذه المرحلة صبغة كلية، إذ أنه يدرك الموضوعات من حيث هي كل، ولا يعني كثيراً بالجزئيات التي تتركب منها هذه الموضوعات، ويقول أحد الباحثين «فإذا عرضت صورة على طفل في الثالثة وطلبت منه وصفها، ففي أغلب الأحيان سيكتفي بتعداد ما فيها من موضوعات، أما طفل السادسة فسيعطيك وصفاً عما يحدث في الصورة [1] وينمو إدراكه تدرجياً حتى يدرك العلاقات بين الموضوعات، وبذلك فإن قدرة الطفل على ربط الأشياء بعضها ببعض، بعلة مجردة تبدأ في الظهور، وتتوقف مخيلته في نموها أمام ممارسته وفعله ورؤيته. ونجد أن طفل السابعة يبدأ تفكيره في اتخاذ الصبغة الواقعية وترك المخيلات، ولكن نلاحظ أنه لا يتمكن من تركيز انتباهه على موضوع معين مدة طويلة، وخاصة إذا كان موضوع انتباهه حديثاً شفوياً، في حين أنه يستطيع أن يركز انتباهه إلى ما هو عملي مدة أطول، لأنه يميل إلى العمل اليدوي»[2].

وقد ذكرت بعض الدراسات الميدانية أن طفل السابعة يمكنه الإجابة عن بعض الأسئلة المنطقية البسيطة، كما يمكنه استعمال الاستقراء بمعناه الصحيح، لكنه مع ذلك لا يزال يجد صعوبة في استعمال الأفكار المجردة، ومن هنا نجد أن مدركات الطفل الكلية في هذه المرحلة تتكون عن طريق اتصاله ببيئته ومحيطه واستعماله لحواسه، إذ أن كثيراً من المدركات الكلية مثل الحلاوة والاستدارة والحيوانية، موجودة أفكارها في المحسوسات.

---

(1) أحمد زكي صالح: **علم النفس التربوي**، مرجع سابق، ص 137.

(2) المرجع السابق، ص 137.

ولم تغفل تلك الدراسات دور اللغة وأهميتها في تحصيل تلك المعارف لأن اللغة تعتبر أداة اتصال بين الطفل وبيئته اليومية[1] وبعد هذا العرض المبسط لخصائص الجانب العقلي لطفل المدرسة الابتدائية، نأتي للسؤال المعتاد في هذا البحث: كيف يقوم الآباء بواجب التربية العقلية تجاه أبنائهم، وما هي آثار هذه التربية، هذا ما سنحاول بيانه في النقاط التالية:

1 ـ مفهوم التربية العقلية وأسسها:

عرفنا فيما مضى معنى كلمة (التربية) والمقصود بها في مجال بحثنا،وأنها تعني التنشئة والإعداد والرعاية قصداً لعلو الشأن والارتقاء.

ويحسن بنا أن نعرف معنى كلمة (العقل) حتى نتوصل إلى المقصود من (التربية العقلية)، العقل في اللغة هو الحجر والنهي، وقد سمي بذلك تشبيهاً بعقل الناقة، لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل، كما يمنع العقال الناقة من الشرود[2].

أما إطلاقات كلمة (العقل) فقد اختلف فيها العلماء والفلاسفة، ولن ندخل في تلك الخلافات خشية أن يتحول البحث عن مجراه، ولكننا سنكتفي بعرض خلاصة لعدد من التعريفات لكلمة العقل.

فالجمهور لهم ثلاث إطلاقات، أولها يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته، وثانيها: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، وثالثها: يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان[3].

والفلاسفة لهم إطلاقات عديدة لكلمة (العقل): أولها: أن العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها، وثانيها: أن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني. وتأليف القضايا والأقيسة. والفرق بينه وبين الحس: أن العقل يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة ولواحقها، أما الحس فلا يستطيع ذلك. وثالثها: أن العقل

---

(1) المرجع السابق، ص 138.

(2) جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، جـ 2، (دار العلم للملايين، بيروت، 1979) ص 84.

(3) المرجع السابق، جـ2، ص 84.

قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية[1]. وهناك إطلاقات كثيرة لا داعي لذكرها.

والواقع أن كل إطلاق من الإطلاقات السابقة لكلمة العقل أخذ اعتباراً معيناً، ومن الممكن أن يكون العقل جامعاً لها كلها، واختلاف العبارات راجع إلى اختلاف الاعتبارات، إلا أن الذي يهمنا في بحثنا هو تغذية العقل بالمعرفة العلمية، وعلى هذا فإن التربية العقلية تعني تغذية العقل بالمعارف العلمية الصحيحة، وينبغي أن يراعى في ذلك السن أو مرحلة النمو. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أساس التربية العقلية راجع إلى الأوامر الإسلامية، والتوصيات العلمية الحديثة.

فمن النصوص الإسلامية:

نجد أن أول آية نزلت في القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ في غار حراء هي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2]. فقد أمر ربنا نبيه بالقراءة مبتدئاً باسم ربه ثم قدم له حقائق علمية عن بداية خلق الإنسان، ثم أرشده إلى الوسيلة التي يتم بها التعليم.

وقد ذكر في سورة أخرى هذه الأداة الهامة في العلم قائلاً: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[3]، والنبي ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[4] وهناك نصوص كثيرة في هذا المجال يرجع إليها في الكتب المختصة. ونريد أن نقول: إن الإسلام أمر بالعلم ابتداء لتغذية العقل الإنساني وقد قدم في هذا المجال حقائق كثيرة وأتبعها بلفظ (لعلهم يعقلون)، (أفلا تعقلون) كل ذلك إشارة إلى تربية العقل الإنساني وتغذيته في كل مراحل حياة الإنسان كما قال ﷺ: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

---

(1) المرجع السابق، ص. ص 84 ـ 85.

(2) سورة العلق، آية: 1 ـ 5.

(3) سورة القلم، آية: 1 ـ 2.

(4) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ1، ص 8.

ومن التوصيات العلمية الحديثة:

يذكر علماء النفس أن عقل الإنسان تؤثر في تكوين عوامل أربعة: نفسية وعضوية واجتماعية واقتصادية، وأكدوا على ضرورة أن للعامل الاجتماعي دوراً بارزاً أكثر من بقية العوامل الأخرى، لأن بيئة الإنسان هي التي تغذي عقله بالمعرفة العلمية الصحيحة بدءاً من طفولته، ونظراً لكون الإنسان يمر بمراحل نمو متطورة فقد درسوا كل مرحلة من مراحل النمو ووضعوا لها مطالب مميزة ينبغي على البيئة توفيرها، إذ تبدأ عملية التغذية للعقل الإنساني بالحركات والإشارات وتنتقل إلى الكلمات حتى يصل الطفل إلى مرحلة الطفولة الوسطى، ومنها يدخل سن التمييز والإدراك. ويؤكد العلماء على زيادة الاهتمام بهذه المرحلة من الناحية العلمية إذ لم يعد المنزل كافياً لتغذية العقل، فلا بد من إضافة مؤسسة تربوية أخرى تساعد الأسرة على القيام بهذه المهمة ولذلك كانت المدرسة والتعليم فيها يبدأ من سن السادسة، وهنا نشير إلى أن الآباء معنيون بالقيام بحق التربية العقلية لأبنائهم في هذه المرحلة العامة ولكن كيف يقومون بأداء هذا الواجب؟.

2 ـ كيفية تحقيق التربية العقلية ووسائلها:

لقد توصلنا إلى: أن التربية العقلية تعني تكوين فكر الطفل بكل ما هو نافع من العلوم بمختلف أنواعها، والثقافة العلمية الحديثة التي يحتاجها، والتوعية الفكرية والحضارية، حتى ينضج عقله ويتكون علمياً وثقافياً، فتصبح لديه القدرة على التفكير السليم والمستقل، فيحسن الحكم على الأشياء، مستعيناً بخبراته ومستفيداً من خبرات الآخرين[1].

وهذه التربية لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن الآباء، بل إن الدور الأكبر يقع على عاتق الآباء رغم وجود مؤسسات تربوية متخصصة ترعى هذا الجانب من التربية وهو الجانب العقلي، ويتركز دور الآباء في الأمور التالية:

---

(1) عبد الله علوان، مرجع، جـ1، ص 255.

القيام بالتعليم الإلزامي:

ويتم ذلك إذا وضع الآباء أبناءهم في المدارس بمجرد بلوغهم السن القانوني ـ ست سنوات ـ وقد نصت وثيقة حقوق الطفل على حقه في التعليم الإلزامي، وإنه لا يجوز للأب أن يمنع ابنه بل يجب عليه أن يضعه في المدرسة، والعلم في الإسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولا يسامح الجاهل ولا يعذر ولو كان بعيداً عن بلد العلم، ومن أجل ذلك كانت الهجرة فرضاً على المسلمين، ويلحق العذاب من يتخلف عنها باستثناء المستضعفين الذين لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، وهناك كثير من النصوص الإسلامية التي تحث على طلب العلم وفرضية طلبه من المهد إلى اللحد، وتبين منزلة العلماء عند الله، ولسنا بصدد استعراضها، إلا أننا نريد أن نؤكد على أمرين هامين:

الأول: فرضية التعلم والتعليم: فقد دلت النصوص على فرضية طلب العلم بقوله تعالى ﴿اقْرَأْ﴾ وبقوله ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]. كما دلت نصوص أخرى على أن فرضية التعليم تعني أداء العلم لقوله ﷺ: «من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»[2].

الثاني: مجانية التعليم: أي عدم أخذ الأجر من المتعلم، فقد أورد القرآن الكريم على ألسنة الأنبياء ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

يقول الإمام الغزالي: «على المعلم أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً»[4].

ولا نريد هنا أن ندخل في ـ حقوق الابتكار ـ[5] ونتحدث عن مصير المتفرغين للتعليم، فذلك مما لا نختلف في جواز أخذ الأجرة عليه، إلا أن الذي يدفع للمعلم في هذه الحالة المجتمع، باعتبار التعليم مرفقاً عاماً من مرافق

---

(1) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ1، ص 8.

(2) الترمذي، جـ5، كتاب العلم، ص 29.

(3) سورة الشعراء، آية: 109.

(4) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، جـ1.

(5) نظرية حقوق الابتكار: تحدث عنها الدكتور فتحي الدريني وأثبت حق المؤلف في جواز أخذ الأجرة على التعليم، وللمزيد من التفصيل يرجع إلى كتابه ـ حقوق الابتكار في الفقه الإسلامي المقارن.

الدولة الضرورية. وغرضنا من ذلك ألا نحرم أولاد الفقراء من وضع أبنائهم في المدارس لقاء رسوم وأجور لا يستطيعون دفعها، وبذلك يحرم الطفل من حقه في التعليم نتيجة الواقع الاقتصادي لأسرته، أما مجانية التعليم فإنها تحقق أو تساعد على أداء هذا الحق للطفل أيّاً كان مجتمعه، وكيفما كانت حالة أسرته الاقتصادية.

المتابعة الدراسية في المنزل:

ينبغي على الآباء أن يتابعوا أبناءهم من الناحية الدراسية في المنزل، خاصة أن بداية دخول المدرسة يعتبر تحولاً هاماً في حياة الطفل وتكون هذه المتابعة على الشكل التالي:

(أ) تهيئة الجو المناسب والمشجع والمساعد للأطفال على الدراسة واستذكار الدروس، وإعداد الواجبات المدرسية.

(ب) متابعة التقدم المدرسي، والتعاون مع المدرسة في معالجة أي مشكلة دراسية تواجههم، لأن التربية الصحيحة لا تكون إلا نتيجة لتعاون الآباء والمعلمين[1].

(ج) تشجيع الأبناء على المذاكرة وتوجيههم إلى أنسب طرق المذاكرة، ولعله من الأساليب المناسبة للمذاكرة أن تحدد الأسرة أوقاتاً للمطالعة تشترك فيها جميع الأسرة، فإن ذلك يزرع في نفس الطفل حب العلم ويشجعه على المذاكرة والمطالعة[2]. وهناك وسائل تعليمية يمكن للأسرة أن تستعملها في المنزل كالأشرطة المرئية مثلاً.

(د) تهيئة مكتبة خاصة للأطفال، تحتوي على ما يحتاجونه من كتب مدرسية ودينية وقصصية علمية هادفة، وهذا مطلب يؤثر فيه العامل الاقتصادي للأسرة لكن الحد الأدنى من ذلك مطلوب ويعتبر من الحاجات الرئيسة للأسرة[3].

---

(1) عبد الجليل محمد المحجوب: هكذا نربي (الشركة التونسية للنشر، تونس، 1978) ص 178.

(2) سعيد عبد الله حارب: دور الأسرة في التربية (دار الأمة، الكويت، 1987) ص 42.

(3) عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ1، ص 55.

مراقبة مضمون المواد التعليمية:

المناهج الدراسية يتم اختيارها من قبل أساتذة مختصين، ولا نريد هنا أن نبحث في شكلها ومضمونها فذلك أمر يحتاج إلى دراسات مطولة، لكننا نشير إلى أن الأسس التي يجب اتباعها في وضع تلك المناهج لا بد أن تصب في صنع الإنسان الصالح المؤمن بالله سبحانه وتعالى، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى بعض هذه الأسس بقوله: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال، حب نبيكم، وحب آل بيته وتلاوة القرآن»[1] كما أوصى العلماء من المسلمين بتعليم الأطفال القرآن الكريم وأحاديث الأخيار، وحكايات الأبرار، ثم بعض الأحكام الدينية[2].

ومن الممكن أن نجد في هذه المناهج الدراسية، أو في بعض الأفلام العلمية، ما يخرج عن هذه الأسس ويناقضها، فيزرع في عقل الطفل مثلاً، عدم صلاحية الإسلام لمواكبة العصر في تطوره، أو يزرع في عقله من خلال برامج الأطفال ـ أن الإسلام يناقض العلم الحديث، أو غير ذلك، ومهمة الآباء هنا تكمن في توعية أبنائهم وتصحيح تلك الأغاليط المقصودة أو غير المقصودة، ويتم ذلك بأسلوب لطيف لا يخفى على الأب الواعي اتباعه واستخدامه، لأن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع.

هذا ما رأيناه من واجبات على الآباء أداؤها تجاه أبنائهم لتحقيق التربية العقلية في مرحلة المدرسة الابتدائية، ولعلنا أغفلنا الكثير إلا أن قصدنا التنبيه لا الحصر، ويحسن بنا أن نرى نتائج هذه التربية العقلية وآثارها.

3 ـ نتائج وآثار التربية العقلية للطفل:

التربية العقلية لها فوائد كثيرة بالنسبة لذات الطفل، أو لمحيطه فضلاً عن الفوائد التي يجنيها المجتمع بأسره، إلا أنها في مرحلة المدرسة الابتدائية، تمتاز بأهمية خاصة نظراً لدور المدرسة في تغذية عقل الطفل ومن هذه الفوائد:

---

(1) رواه الطبراني، مذكور في عبد الله علوان، جـ2، ص 666.

(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، جـ3، ص 74.

1 ـ محو الأمية من المجتمع، وهذا مطلب إسلامي وإنساني خالد، فالطفل يبدأ بالتعلم في هذه المرحلة لكنه قد لا يتابع إلى تتمة أو نهاية المراحل الجامعية، إلا أنه يتعلم القراءة والكتابة وهذه فائدة كبيرة تمحو الأمية من المجتمع.

2 ـ الكشف عن قدرات واستعدادات أبناء الأمة، للاستفادة من عقولهم، فالنبغاء والعلماء والمكتشفون كانوا أطفالاً صغاراً بدؤوا بالقراءة والكتابة، واستمروا فتفتقت عقولهم ونبغوا واخترعوا وقدموا ما فيه النفع للإنسانية.

3 ـ سد احتياجات الأمة من الناحية العلمية، إذ يحتاج المجتمع إلى طبيب أو مهندس وعالم بالذرة وفي كل الاختصاصات، وهذه القضايا لا تسد إلا بالعلم، والعلم يبدأ بالقراءة والكتابة في مرحلة المدرسة الابتدائية.

أما إذا قصر الآباء والمجتمع في إعداد الطفل من الناحية العقلية فإن ذلك يعود عليه بالخسران والتأخر والتخلف والجهل، وعندها يكون مخالفاً لأوامر الله ويتأخر عن اللحاق بركب الحضارة وسيسبقه لا محالة من يقوم بأداء هذه الواجبات على أكملها، لأن الله قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

هذه خلاصة مركزة لحق الأبناء على الآباء في التربية العقلية لهم في مرحلة المدرسة الابتدائية.

(1) سورة الزمر، آية: 9.